

بسم الله الرحمن الرحيم

## القرن الخامس عشر الهجرى الجديد قرن الاسلام من جديد

الاستاذ سعيد الاعظمى

عضو رئاسة التحرير

البعث الاسلامى - ندوة العلماء لكتاؤ الهند

من خلال أحداث خطيرة سجلها التاريخ على مدى الاشهر الاخيرة لعام  
١٤٠٠هـ يطلع علينا القرن الهجرى الجديد .

فان حادث تهويد القدس و تحويلها الى عاصمة يهودية أبدية موحدة  
كان من أخطر موجات النكبات والمآسى التى مرت على المسلمين منذ عدة أشهر  
والتي كانت سببا مباشرا لاسراع بعض الجهات المسؤولة فى العالم العربى الى  
اعلان الجهاد ضد اسرائيل ، وقبل أن ينال هذا الاعلان الهام طريقه الى التنفيذ  
قرع آذان المسلمين نبأ صدامات مسلحة بين ايران والعراق ، استمرت الى مدة غير  
قصيرة وتحولت الى حرب ساخنة دموية أدت الى خسائر فادحة من كل نوع ، هذا  
بالاضافة الى حالة ذعر نفسى وتوتر عصبى كانت تسود على عدة دول اسلامية ،  
وعاشها المسلمون فى وضع متفجر بين مقاومة باسلة ، وروح نائرة من الجهاد  
والشهادة .

من خلال هذه الأحداث القاسية وأخرى غيرها ، يطلع على الأمة الإسلامية القرن الخامس عشر الهجرى الذى تترقبه الأمة منذ فترة طويلة ، وتعلق به آمالا و أحلاما ، وتتمنى أن تستقبل فيه رسولا للأمن والسلام وسفيرا للحب والوئام ، وتجد فيه قائدا الى ساحة العز والسعادة ومنطلقا نحو الاسلام من جديد .

ولا يسعنا بهذه المناسبة التاريخية العظيمة أن نتناسى ما حدث فى الحرم المكى الشريف مع مطلع العام الهجرى الجديد ١٤٠٠هـ من اعتداء خارق . على يد شرذمة قليلة من المسلمين المنحرفين اتخذتها الجهات المتآمرة آلة لانتهاك حرمة أقدس المقدسات التى ينتمى اليها المسلمون فى العالم كله عاطفة وایمانا .

ومجرد انتزاع هيبة هذا الحرم العظيم واخراج قدسيته من قلوبهم يمهد لها الطريق الى تحقيق مآربها الخبيثة فيما زعمت ، غير أن هذه العملية الحمقاء التى أشبهت فى النوايا السيئة بعملية «أبرهة .. المجنون ، لم تصمد أمام ارادة الله ازاء بيته ومع حرمة ، وباءت بالفشل الذريع ، ولقى المجرمون مصايرهم من غير تأجيل فى القضية .

ولكن المؤامرة ضد الغيرة الدينية لم تنته باسدال الستار على المسرحية الفاشلة وتجربة الحرم الشريف بل تنوعت وتوسعت وأكب الخبراء المتخصصون فى هذا الفن على تعميق جذورها وتنفيذها بحكمة بالغة وبألوان مختلفة ، واتفقت كلمة الدول الشرقية والغربية على هذه النقطة وتضافرت جهودها فى هذا المجال بالذات ، والواقع أن ما تجدد بعد ذلك من أحداث الشقاق والنفاق فى صفوف المسلمين ، وما استحدثت من أساليب القمع والارهاب ، والتكنيك الجديد لضرب المسلمين على المستوى العالمى ليس مما يخفى على متابعى الأحداث ومتبعى الحقائق الراهنة .

لقد تزايد هذا النشاط الهدام لدى الغرب والشرق والتركيز على تجريد المسلمين عن ثرواتهم المادية والمعنوية منذ أن برزوا كعنصر مهم جدا على أفق العالم الأسمى ودخلت دولهم المنتجة للبتترول فى سباق الاقتصاد العالمى كعضو ، له من الأهمية مالا يستهان به ، فمن أهم ما أهم الغرب والشرق غير المسلم هو أن يحكم كل واحد منهما قبضته على هاتيك الدول ويضعف سلطانها على منابع ثرواتها وخيراتها ، ورغم أنه لا يعملها ولكنه يحاول أن يتصرف فيها ويمتلك زمامها الاقتصادى فيملئ عليها ارادته فى ضوء مصالحه ، مع اضعاف ثقنتها بالدين وصلتها بمنبع القوة واقتصادها عن مركزه الأصيل فى الحياة الاجتماعية والسياسية من غير أن تشعر هى بأى شىء من ذلك .

ولو لا أن الغرب و الشرق لقيا نجاحا كبيرا فى مخططاتهما ضد الاسلام والمسلمين لم يوجد هناك فى العالم الاسلامى بوجه خاص تلك البلايل الفكرية والقلقل الاجتماعية والسياسية . ولم تشغل شعوبه ثورات واشتباكات ، ومعارضات على المستوى الشعبى ضد الحكام المتطرفين و تصفية العناصر الحرة من الجماهير المسلمة بأمر من هؤلاء الحكام ، الى غير ذلك من مبكيات مخزيات ، مما ينتكس له رأس الحياء ويتندى له جبين الغيرة .

هذا وهناك جوانب أخرى عديدة شغلت أفكارها وقوانا ، وصرفت مواهبنا وطاقاتنا من وجهتها الصحيحة الى مالا يهم المسلم من أمور هزيلة ولا يدر عليه نفعا فى أى مجال حيوى ، وكان ذلك خسارة لا تعوض ، وتعدت هذه الروح المريضة الى أجزاء الجسم الصحيحة ، وأغلقت عليها أبواب الجد والنصح والأمانة والصدق والعفاف ، والنزاهة والسمو ، والفضيلة والورع ، وبالتالي أبعدت المرء المسلم عن مكانته الحقيقية وأوهت علاقته بالانسان ، والكون والحياة ، وحولته الى كائن مادى بحت ، لايهمه الا المعدة والمال ، ولا يشبع نفسه الجشعة الا غذاء

مادى ، ولا يفكر الا فى أساليب الاقتصاد و التجارة التى تدر عليه أرباحا لاتنتهى ،  
وتغدق عليه قناطر مقنطرة من المال والمتاع .

ولكن الاسلام حينما يشجع حياة الجد والكفاح ويطالب المسلم بالكسب  
الحلال والاشتغال بالتجارة وأمور المعاش فانه لا يبيح الاسراف فى كسب المال  
ولا يرضى بادخار الكنوز ، وانما يطالب بالاقتصاد فى كل ذلك ، ويحث على  
الاتزان فى الأمور الدينية فضلا عن أمور الدنيا ، أنه يذم البخل والجشع والنهامة  
الزائدة فى الجانب المادى ، ويترقب أن يرى المسلم عادلا متزنا لافىما يتعلق بدينه  
وحسب ، بل فيما يتصل بحياته المادية ، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى  
هذا الجانب المهم فيما روته كتب السنه فى معنى القصد والعدل وتأمين الارواح  
والأموال ، وصيانة الحقوق من كل نوع .

ومن ثم فما أجدر بالأمة الاسلامية وهى تسعد باستقبال القرن الهجرى  
الجديد . وهو حدث تاريخى غير عادى لا يقاس على أحداث التاريخ العادية -  
وتعلق به آمالا ضخمة فيما يجدد النشاط والقوة ويعيد الى المجتمع الانسانى  
الاعتبار والقيمة ، أن تدرس حياة صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم من جديد ،  
تدرسها من زاوية الحياة الجديدة وفى ضوء ما يمر به العالم المعاصر ويواجهه من  
قضايا ، وأحداث وتحديات وفلسفات ، عسى أن تجد فيها ضالتها ، فتسعف  
الأجيال والشعوب التى تعانى من صراع نفسى شديد ، وتسعى باحثه عن  
علاج لأدوائها التى استعصى عليها دواؤها .

ان هذا العالم الحديث لا يختلف فى التيه والحيرة عن العالم القديم الذى  
سبق الاسلام وعاش فى ظلام وجهل وفوضى ، فاذا كانت الديانات واصحابها لم  
يتمكنوا من اخراجه من ذلك الظلام قديما فان الأيدلوجيات الجديدة والفلسفات  
العلمية الحديثة لم تتمكن من تخويل العالم الحديث أمنا وهدوءاً،ومن توجيه سعادة

وطمأنينة اليه ، أما العلم الحديث والصناعات العملاقة والابداعات الواسعة المدى فأى شيء من ذلك لم يوفر له راحة نفسية ، وان كان فيها توفير للوقت ولكن ذلك لا يغنى عن الخواء الروحي والشقاء اللازم للانسان الغربى ، ولمن على شاكلته من أهل الشرق الاسلامى .

ومثل هذا الوضع الخطير الذى يعيشه عالمنا المعاصر يحتم على دعائنا وعلى المعنيين بالعمل الاسلامى أن يركزوا قويا على دراسة هذه السيرة العظيمة ونشر ظلالها الوارفة على المجتمعات الانسانية الضاحية تحت شمس الحضارات الزائفة والمدنيات الضائعة ، ففى تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتجارب حياته غنى عن التعاليم الوضعية والنظريات الكاذبة ، وفيها حل شامل لجميع ما يتعرض له العالم من المشكلات والأزمات الخلقية والمادية التى تهدده بالفناء والدمار أن لم يتخلص منها فى أسرع فرصة ممكنة .

فى حياته الطيبة الكريمة أسوة حسنة للمسلم قبل كل واحد ، فيها نموذج مثالى عظيم للحياة الانسانية السعيدة للانسان الناجح السعيد ، فيها مثال كريم خالد للذين يتمنون السعادة والهدوء، ويتوخون لذة الحب والأيمان ، ويبحثون عن نعمة العز والعافية ، فيها أسوة لكل نوع من الأنسان ، وقدوة كاملة للانسان الكامل من جميع النواحي ، للانسان العبد الذى يتمتع بالحب الخالص لله ، للانسان الأب والأخ والزوج والمحب والمربى ، والمجاهد والجندى ، والقائد والمعلم والحاكم ، والسيد ، والصدىق والرفيق ، والهادى ، وحدث عن البحر ولا حرج ، ولقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

حاجة المسلم اليوم الى حياة النبى صلى الله عليه وسلم والتأسى بأسوته الحسنة أمس من حاجة غير اليها ، فان ما قد ألم بالمسلمين من الضعف والخذلان والتأخر والتمزق مرده هو ابتعادهم عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتناسيهم

نعمة الله التي أتمها عليهم عن طريقه عليه الصلاة والسلام ، وامتن بها عليهم باعلانه الصارخ الدائم فقال : «اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا ..» . واقتترنت بها نعمة الاخوة الاسلامية والوحدة والألفة التي ذكرهم بها وطلب منهم أن لا ينسوها في زحمة المسئوليات وصراع الحياة ، فقال «واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ..» .

وكلما أغفل المسلمون نعمة الله هذه الكبرى و طووها في ذيل الغفلة والنسيان عادوا الى سيرتهم الأولى من التناحر والتصارع وتفرق الكلمة وتمزق الوحدة وتشتت الشمل ، وارتموا الى احضان الجاهلية فبدرت منهم أفاعيل ، وصدرت منهم أمور تعجز عن تأويلها العقول ، و حتى اتخذوا أعداء الله أولياءهم ولم يروا أى عار فيما اذا باعوا ضمائرهم ودينهم بثمان بخر درهم معدودة ، وارتضوا بأن يتخذهم الناس وصلة لتحقيق مآرب خسيسة ، أو التآمر على سلامة بلد مسلم أو على صيانة عقيدة دينية .

هنا العبرة للمسلم قبل كل شخص في هذه الحياة العطرة ، سيما وهو يستقبل القرن الهجرى الجديد ، ويذكر حدث الهجرة وما والاها من انتصارات وما اتصل بها من مجهودات كفاحية فى سبيل دعم المبادئ الخلقية ، فقد كان الرجل المسلم قد خطا حينذاك نحو التمكّن والاستقرار والقوة والايمان بخطى حثيثة واسعة ، وخرج من مرحلة المراهقة الفكرية الى مراحل النضج والقوة والاكتمال ، وأذن الله باكمال الدين واتمام النعمة والارتضاء بالاسلام للأمة الاسلامية ، وبشر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه وأمتة وقرأ عليهم قول الله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ..» فلما سمع به اليهود قالوا يا معشر المسلمين لقد نزلت عليكم آية لو علينا معشر اليهود نزلت

لاتخذنا ذلك اليوم عيداً .

وكلما أعيدت قصة الهجرة النبوية الكريمة وجعلت أحداثها وأخبارها وآثارها موضوع الحديث ومبنى المناسبات تجلت أمام الأعين تلك الحياة النبوية وتمثلت ذكرياتها بجميع ما فيها من عبر ودروس ، وتوجيهات وتعليمات لبناء الحياة السعيدة ، والمجتمع المثالي ، ونشر معاني المودة والاخوة والحب والسلام ، والقضاء على جوانب الشقاق والفرقة والانقسام ، وتغيير عوامل الفساد والعداوة والخصام بعوامل الصلاح والحب والوئام .

وما أحوج عالمنا المعاصر الى مواصفات الحياة الكريمة السعيدة وخصائص الانسان الكامل العظيم صلى الله عليه وسلم ، ففي سيرته كفاية للانسان فى كل مجال وفى كل زمان ومكان ، وفيها حلول ناجعة لجميع ما يجتازه من مشكلات وويلات .

فهلا انتهزنا فرصة افتتاح القرن الهجرى الجديد لدراسة سيرة صاحب الهجرة وهلا جعلناه قرن الاسلام من جديد ؟

(مع الشكر للبعث الاسلامى)

\*\*\*\*\*